

التبيان في تفسير القرآن

(275) تقرّبهم إلى الله زلفى، ثم أخبر تعالى أنه أعطى لقمان الحكمة، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: لم يكن لقمان نبيا. وقال عكرمة: كان نبيا. وقيل: أنه كان عبدا أسودا حبشيا ذا سفة. فقال له بعض الناس: ألسنت الذي كنت ترعى معنا؟ فقال: نعم. فقال له: من أين أوتيت ما أرى؟ فقال: بصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. والحكمة التي آتى الله لقمان هو معرفته بتوحيده، ونفي الشرك عنه. وما فسرناه في ما بعد وهو أن أمره بأن يشكر الله على نعمه التي أنعم بها عليه. ثم أخبر تعالى فقال "ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه" أي من يشكر نعمة الله ونعمة من أنعم عليه، فإنه يشكر لنفسه، لأن ثواب شكره عائد عليه "ومن كفر فإن الله غني حميد" أي من جحد نعمة الله، فإنه تعالى غني عن شكره حميد على أفعاله، وعقاب ذلك عائد على الكفار دون غيرهم، والشكر لا يكون إلا على نعمة سبقت، فهو يقتضي منكما، فلا يصح على ذلك أن يشكر الإنسان نفسه، لأنه لا يجوز أن يكون منكما عليها، وهو جرى مجرى الدين في أنه حق لغيره عليه يلزمه أداؤه، فكما لا يصح أن يقرض نفسه فيجب أن يقضي ذلك الدين لنفسه، فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه فيلزمه شكر تلك النعمة ثم قال تعالى وأذكر يا محمد "إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" إذ قال له لا تعبد مع الله غيره فإن من فعل ذلك فقد ظلم نفسه ظلما عظيما. ويجوز أن يتعلق قوله "وإذ قال لقمان" بقوله "ولقد آتينا لقمان الحكمة..." إذ قال لابنه... لا تشرك بالله " ثم قال تعالى "ووصينا الإنسان بوالديه" أي وصيناه وأمرناه بالاحسان إلى والديه. والرفق بهما "حملته أمه وهنا على وهن" قال الضحاك: معناه ضعفا على ضعف